تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

بدأت معركة الموصل تحت قيادة اميركية، وانتهت تحت اشراف ايراني.

نتيجة المعركة كانت محسومة، ونهايتها إختلفت عن بدايتها

ما بعد الموصل... ما بعد نهاية "داعش" في العراق

عام 2017 كان سيئا جدا لتنظيم "داعش" وبداية سقوطه. في بدایاته تم عزله في الحدود التركية بعدما سيطر الجيش التركي على مدينة الباب معقله على الحدود، وفي منتصفه اكتمل تنظيف العراق منه مع انهيار الموصل عاصمة التنظيم وثاني اكبر مدن هذه البلاد

انتهت معركة تحرير الموصل بعد معارك ومواجهات عنيفة استمرت نحو ثمانية اشهر، وكان واضحا منذ بدايتها ان نتيجتها محسومة، وان المسألة مسألة وقت. الابرز في مسار هذه المعركة ان تحولا طرأ على مسارها، وان نهايتها لم تكن مشابهة لبدايتها. بدأت المعركة تحت قيادة اميركية وانتهت تحت اشراف ايراني. بدأت مع الجيش العراقي وانتهت مع الحشد الشعبي. بدأت مع دور اساسي لـ"البيشمركة" الكردية، وانتهت مع دور ثانوي للاكراد المهتمين بكركوك اكثر من الموصل.

النتائج المترتبة على هذه المعركة والمرتبطة بمرحلة ما بعد الموصل، وما بعد انتهاء "داعش" في العراق، هي الاهم: مَن يحكم الموصل ويسيطر ويضع اليد عليها؟ كيف ستتوزع خارطة الحصص والمصالح والنفوذ؟ كيف ستؤثر معركة الموصل على الحرب السورية وتحديدا على معركة الحدود والشرق والبادية؟

هذه الاسئلة طبيعية لمرحلة وراثة "داعش" في العراق، وفي ظل وضع تتصادم فيه ثلاث استراتيجيات:

- الاستراتيجيا الاميركية الهادفة الى ترحيل "داعش" من الموصل الى شرق سوريا، لاستخدامها هناك كاداة ضغط على القوات المدعومة من ايران.
- الاستراتيجيا الايرانية الهادفة الى استثمار معركة الموصل لتحقيق التواصل الجغرافي البري بين العراق وسوريا، مع دور اساس للحشد الشعبي.
- الاستراتيجيا التركية الهادفة الى موطئ قدم ومنطقة نفوذ لها في شمال العراق، وحجز مقعد لها على الطاولة. لكن تركيا التي لم يكن لها دور في معركة المدينة، لذا لم يعد في امكانها المطالبة بالمشاركة في ادارة الوضع في الموصل، وربما ستتحول في اتجاه آخر: المشاركة في مستقبل كركوك الغنية بالنفط التي يقطنها تركمان، واحتواء حزب العمال الكردستاني ومنعه من التمدد من جبال قنديل الى جبال سنجار.

لم تكن للاكراد مشاركة اساسية في تحرير الموصل، وهم كانوا ربطوا مشاركتهم بحوار واتفاق مسبق حول مرحلة ما بعد تحريره وعلى صيغة لادارته في شكل يراعي توازناته ومكوّناته ويطمئن سكانه الى مصيره بعد طرد "داعش"، لانهم لا يريدون ان تحل ميليشيات الحشد الشعبي الشيعية مكان التنظيم. الاهم بالنسبة الى الاكراد حاليا طريقة ادارة الوضع بعد التحرير، وان يكون لهم دور ومكان في مستقبل الموصل. لكن الاكيد ان اعينهم تتجه اولا الى كركوك التي ستكون نقطة الصراع الساخنة في مرحلة ما بعد "داعش"، في ظل ضغوط مزدوجة:

ـ من بغداد التي ترفض ان تكون المنطقة الجديدة تابعة لاقليم كردستان، وتفضل بقاء الوضع الاداري لمحافظة نينوى على ما كان عليه قبل تاريخ سقوطها في ايدي "داعش".

ـ ومن تركيا التي تثير الموصل شهيتها، وايضا كركوك حيث تتركز مطالب التركمان اساسا حول الحفاظ على وضع لكركوك، بادارة مشتركة، عربية وكردية وتركمانية، فيما يصر الاكراد على ضمها الى اقليمهم.

اما الاميركيون، فانهم مدركون حجم التعقيدات العراقية الداخلية، والتناقض الحاد في مصالح القوى الخارجية واهدافها، وامكان احتدام المواجهات الامنية والسياسية بعد تحرير الموصل.

تبقى الانعكاسات المرتقبة على معركة الحدود السورية ـ العراقية التي يديرها الجنرال الايراني قاسم سليماني. سقوط الموصل لا تنحصر تداعياته بالعراق فحسب، ولا يجري التعامل معه على كونه حدثا عراقيا منفصلا عن المحيط، ذلك ان تلازم المسارين العراقي والسوري بدأ يفرض نفسه على الاجندة الدولية، والوضع في سوريا بعد القضاء على "داعش" في العراق لن يكون مشابها لما كان قبل ذلك، وستشتد حال الغليان وعملية خلط الاوراق فيها، وترتفع وتيرة الاشتباك الدولي وخطورته على ارضها وحدودها.

صحيح ان الحديث حول مخاوف التقسيم ظل يلازم الازمة السورية منذ اللحظة التي تحولت فيها الى حرب داخلية بابعاد اقليمية ودولية، وصحيح ايضا ان البلد بدا مقسما بحكم الامر الواقع منذ سنوات، وذلك مع تقطيعه الى مناطق واقعة تحت سيطرة الاطراف المختلفين. لكن احداث الفترة الاخيرة والتحركات المرافقة على الارض، اعطت ◄

الاستفتاء الكردي على الاستقلال

لعل اول واهم تطور مرتقب في مرحلة ما بعد "داعش" هو الاستفتاء الكردي على استقلال كردستان العراق. فما ان لاحت بوادر سقوط الموصل، حتى قررت الاحزاب الكردية اجراء استفتاء شعبي حول الاستقلال عن العراق في 25 ايلول المقبل، بهدف تشكيل دولة مستقلة. القوى السياسية الكردية وجدت ان ظروف العراق المتردية بسبب حربه على تنظيم "داعش"، والضعف الذي يعاني منه بسبب المشكلات الامنية والسياسية والاقتصادية ملائمة لتحقيق حلم الدولة الكردية، لا سيما بعد الاحداث الاخيرة التي انشغلت بها القوات العراقية في معارك استنزاف على جبهات عدة، فضلا عن الدور الكبير الذي ادته قوات البيشمركة في المعارك وسيطرتها على مناطق النزاع مع الحكومة المركزية، وتشكيل واقع جديد يفرض سيطرة الاقليم اداريا على هذه المناطق. اضافة الى ذلك، انه منذ ان حظي اقليم كردستان بالفيديرالية، وهو يقيم العلاقات الاقتصادية والسياسية ببراغماتية مع دول الجوار، وتحديدا ايران وتركيا. وهو اذ استفاد من تلك العلاقات، يراهن على ان ايران وتركيا لا تبدوان اليوم في وارد مناهضة عنيفة او عرقلة حادة لمطامحه. لكن النزعة الكردية الى الاستقلال والانفصال تصطدم بعقبات وفيتوات اقليمية ودولية.

عودة الارهابيين الى اوروبا او الهجرة المعاكسة

من سمات مرحلة ما بعد "داعش" ومؤشراتها، ان الارهابيين الاوروبيين الذين كانوا قد انضموا بالالاف الى صفوف الارهابيين في سوريا والعراق، بدأوا العودة الى اوروبا بعد اكتساب خبرة قتالية ومزيد من التطرف، فيما تجد دول الاتحاد الاوروبي صعوبة في تحديد سبل مواجهة موحدة لهذه الظاهرة.

ويقدّر اجمالي الاجانب الذين قاتلوا مع تنظيمات ارهابية في سوريا والعراق بـ27 الفا. وبحسب منسق الاتحاد الاوروبي لشؤون مكافحة الارهاب جيل دو كيرشوفي، فان "ما بين 2000 و2500 اوروبي او مقيم في دول الاتحاد الاوروبي، يمكن ان يعودوا الى بلدانهم مع تقهقر تنظيم داعش الارهابي في سوريا والعراق". ويقول في تقرير له: "تشير آخر الارقام الى ان ما بين 15 الى 20% من المقاتلين الاوروبيين (في سوريا او العراق) قتلوا، وعاد ما بين 30 و35% منهم، في حين لا يزال نحو 50% موجودين في سوريا والعراق. وبما ان عودة بعضهم الى بلدانهم الاصلية باتت تحصيل حاصل، فان البعض الاخر سيبقى في جيوب مقاومة في دول مجاورة او سيتجهون الى مناطق نزاع اخرى".

الانطباع بان الاطراف الدوليين والاقليميين بدأوا يتحركون فعليا في اتجاه خطط تقود اما الى التقسيم، او الى ابقاء سوريا في حالة من التمزق والاحتراب الداخلي والتجاذب الاقليمي والدولي لسنوات كثيرة مقبلة، اي الى حال عراقية اخرى، لكن بطريقة معدلة.

ما يحدث على هذه الجبهات لا يمكن فصله عما يحدث على جبهة معركة الرقة، والدعم الاميركي لقوات "سوريا الديموقراطية" التي يشكل الاكراد عمادها، لكنها تضم ايضا مجموعات عربية. تركيا عبّرت عن قلقها الشديد من تسليح الاميركيين اكراد سوريا، ولوّحت بانها مثلما تدخلت في السابق لمنع تمدد الاكراد في الشمال السوري، خوفا من ان يشجع ذلك حلم الفيديرالية الكردية، فانها قد ترسل قوات مجددا لمنع اي تمدد جديد لقوات حماية الشعب الكردية، المنضوية تحت لواء قوات "سوريا الديمقراطية".

الرسالة من كل الاطراف ان سوريا لا تزال بعيدة كل البعد من خفض التصعيد، بل انها قد تكون متجهة نحو مرحلة اخرى من الصراع لاقتطاع مناطق نفوذ، او توسيع اخرى ما يعني عمليا خطوة اخرى نحو التقسيم بسياسة الامر الواقع.

لكن ايران تعيش توجسا يتمحور حول صفقة ما قد يبرمها الرئيسان الاميركي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين في شأن سوريا لتشكل صافرة البداية للسعي الاميركي الى تقليص الدور الايراني في هذا البلد. تشعر طهران بان ثمة احتمالا ـ وإن ضعيفا ـ بان تقايض روسيا بقاء الرئيس بشار الاسد بخفض الانتشار الايراني وملحقاته، اي ضمانات اميركية بعدم التعرض للنظام اذا ساعدت روسيا واشنطن في تطلعها الى محاصرة الامتدادات الاقليمية لايران. ويضغط الاميركيون بقوة في هذا الاتجاه، سواء عبر تصديهم لمحاولات قوات موالية لايران الاقتراب من منطقة الحدود السورية مع العراق والاردن، او عبر الانذار الذي وجهوه الى الاسد من مغبة شن اعتداء كيميائي جديد وتهديدهم بانه سيدفع مع جيشه ثمنا فادحا. لكنهم يطرحون على الروس في المقابل مغريات عدة، بينها امكان تخفيف العقوبات الاقتصادية وتجميد او تقليص خطط توسيع الحلف الاطلسي في شرق اوروبا، وبالتأكيد، الاقرار الواضح والعملي بمصالح موسكو في سوريا والشرق الاوسط، بعدما جرى تجاهلها حتى الان.

تركيا قلقة من تسليح الاميركيين اكراد سوريا، وستسعى الى عدم تمددهم في الشمال.

> **الاقرار بمصالح موسكو في سوريا والشرق الاوسط بعدما جرى تجاهلها**

"داعش" في سوريا

استطاع تنظيم "داعش" عام 2014 تشكيل 8 ولايات توزعت على 9 محافظات سورية، هي دمشق وحمص وحلب والرقة ودير الزور وحماة والحسكة وريف دمشق والسويداء، بالاضافة الى وجود جيش مبايع له في حوض اليرموك في ريف محافظة درعا الغربي، ووصلت مساحة سيطرته الى نحو 90 الف كيلومتر مربع من الاراضي السورية، بنسبة نحو 50% من مساحة البلاد. الا انه عاد في العام الثالث ليخسر مساحات واسعة من المناطق التي كانت خاضعة لسيطرته تبلغ عشرات الاف الكيلومترات، حيث خسر آخر منافذه مع العالم الخارجي بعد دخول تركيا في عملية "درع الفرات"، وعشرات القرى والبلدات والمدن من ريفي حلب الشرقي والشمالي الشرقي، ولم يتبق له سوى قرى متناثرة في ريف حلب الجنوبي الشرقي.

انحسر نفوذ "داعش" في سوريا الى اقل من ربع المساحة الجغرافية للبلاد، اثر الهجمات المتواصلة ضده التي ابعدته عن معظم المدن والمراكز الحيوية الى البادية السورية، بينما يتواصل تراجعه اثر المعارك المستمرة ضده في معقله في الرقة وفي البادية، تحت غطاء جوي دولي.

بعد الموصل يحوّل التنظيم المتطرف قواته في اتجاه البادية السورية التي تمتد من جنوب الرقة شمالا في اتجاه ريف محافظة حماة الشرقي وريف محافظة حمص الشرقي وشرق محافظة ريف دمشق وريف محافظة دير الزور المتصل بالحدود العراقية، وايضا المنطقة الصحراوية العراقية.

ويؤكد خبراء ان استعادة الرقة السورية وتلعفر والموصل في العراق "لا تعني انتهاء التنظيم عسكريا بالنظر الى انه سيكون قد هزم، لكنه سيعود الى تطبيق الاستراتيجيا المفضلة له وهي سمكة الصحراء. اي انه سيذوب في بادية الشام وصحراء الانبار، ويستغل الطبيعة القاسية للمنطقة تحضيرا لشن حرب عصابات على كل من يعاديه".